DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

التخييل عند النقاد القدماء وتأثيره الفني في الكلام

د. عبد العزيز بن حمود حمدان البلوي
أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: a-albalawi@ut.edu.sa
https://orcid.org/0009-0002-6393-9333

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على فن التخييل كما عرَّفه النقاد القدماء، وصلته ببعض الفنون البلاغية، وأتبعت في البحث المنهج الاستقرائي الذي يقوم على رصد أبرز الآراء التي وجدت في كتب التراث الأدبي والبلاغي عن فن التخييل، مشيرًا إلى أصناف التخييل، ومواقع هذه الأصناف في الكلام، وشرح البلاغيين القدماء لتأثير التخييل في المتلقي. وقد عرفت التخييل لغةً واصطلاحا، ثم درست المصطلح من حيث موقعه في الكلام الفصيح. أما تأثيره فيقوم على أنه دفع القارئ أو المتلقي إلى تخيل شيء غير حقيقي يزيد من تأثير الكلام وجاذبيته.

الكلمات المفتاحية: التخييل، النقاد القدماء، الكلام، أصناف التخييل.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

Imagination according to Ancient Critics and its Artistic Impact on Speech

Dr. Abdulaziz Homood Hamdan Albalwi
Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Education and Arts, University of Tabuk, KSA
Email: a-albalawi@ut.edu.sa
https://orcid.org/0009-0002-6393-9333

ABSTRACT

This research aims to examine the art of imagination as defined by ancient critics and its connection to certain rhetorical arts. I followed the inductive approach, which is based on observing the most prominent views found in literary and rhetorical heritage books on the art of imagination, pointing to the types of imagination, the positions of these types in speech, and the explanations of ancient rhetoricians for the impact of imagination on the recipient. I defined imagination linguistically and technically, then studied the term in terms of its position in eloquent speech. Its impact is based on prompting the reader or recipient to imagine something unreal, which enhances the impact and appeal of the speech.

Keywords: imagination, ancient critics, speech, types of imagination.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فالكلام البليغ – شعرا كان أو نثرا- يعتريه جانبان: جانب الحقيقة بمحدوديتها وواقعيتها، وجانب الخيال برحابته وسعته وخرقه عالم الواقع، والتحليق في سماوات أوسع وأرحب، وهو عالم الخيال الذي لا تحده الحدود، ولا تقف أمامه العوائق، ولكل منهما سياقاته ومقاماته.

ولما كان عالم الخيال بحرا لا ساحل له، اتجه إليه الأدباء والشعراء لتصوير معانيهم في صور تعجز الحقيقة عن كشفها وإظهارها؛ مما جعل الخيال يلعب دورا هاما، ويحتل مكانة بارزة لدى الشعراء والأدباء، فكان متكأهم الرئيس في تصوير وإثبات معانيهم، وأيضا وسيلة هامة لجذب المتلقي، والعروج به إلى آفاق أرحب وأوسع؛ وهذا مما حدا ببعض النقاد مثل: حازم القرطاجني أن يجعله قوام لغة الشعر، ومدار جودته، كما سيتضح من خلال الدراسة- إن شاء الله تعالى-.

ومن المعلوم أن عمل النقاد قائم على أدب الأدباء، وشعر الشعراء، وهما يعتمدان اعتماداً رئيساً على الخيال في كثير من إنتاجهم؛ لذا رأينا النقاد قديماً وحديثاً- في طيات كتبهم- يتعرضون للحديث عن الخيال، ودوره في الكلام، ومدي توفيق الأدباء والشعراء في استعماله؛ مما دفعني لدراسة هذا الموضوع والوقوف على أبعاده، وبيان أهمية الخيال وأثره في الكلام؛ فكان موضوع هذه الدراسة "التخييل عند النقاد القدماء، وتأثيره الفني في الكلام".

وهناك عدة دراسات تناولت التخييل منها:

- مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، الأصول والامتدادات، يوسف الإدريسي، منشورات مجمع الملك سلمان العالمي لخدمة اللغة العربية، 2024م.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي للوقوف على ظاهرة الخيال لدى الأدباء والنقاد، وبيان مدى تأثيرها في الكلام.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة، فقد عرضت فيها بواعث اختيار الموضوع وطريقة السير في دراسته.

التمهيد: حول تعريف التخييل، وذكر بعض النماذج له.

المبحث الأول: أصناف التخييل.

المبحث الثاني: تأثير التخييل وموقف النقاد منه.

الخاتمة: عرضت فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

ثم ثبت بالمصادر والمراجع والموضوعات.

والله أسأل أن يرزقنا التوفيق والسداد والقبول، إنه قريب مجيب.

التمهيد

تعريف التخييل

أولا: التخييل لغة:

من معاني مادة (خَيَل): الظن ومناقضة اليقين والحقيقة، ولننظر في تفسير هذا المعنى من مادة خَيَل عند ابن منظور، حيث يقول: خَالَ الشيءَ يَخَالُ خَيلًا وخِيلَة وخَيْلة: ظَنَّه، وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ أَي يَظُنَّ، وَهُوَ مِنْ بَابِ ظَنَنْتُ وأَخواتها. وخَيَّلَ لِلنَّاقَةِ وأَخْيَلَ: وَضَعَ لِوَلَدِهَا خَيَالًا لِيَفْزَع مِنْهُ الذِّئْبُ فَلَا يَقْرَبه. والخَيَال: مَا نُصِب فِي الأَرض لِيُعْلَم أَنها حِمىً فَلَا تُقْرَب. وَقَالَ اللَّيْثُ: كُلُّ شَيْءٍ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ، فَهُوَ مُخِيل، وَقَدْ أَخَالَ؛ وأَنشد:

والصِّدْقُ أَبْلَجُ لَا يُخِيل سَبِيلُه *** والصِّدْق يَعْرِفه ذَوُو الأَلْباب[1]

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج11، ص 226.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

ويبدو لنا جليًّا من هذا الشرح أن معنى مناقضة الحقيقة والواقع جزء مما تشمله كلمة تخييل، وهذا ما أشار إليه القدماء في شرح مادة "خ ي ل" شرحا لغويا مجردا من أي اصطلاح، لأن المعاجم اللغوية تكتفي بشرح الكلمة – غالبا – شرحا لغويا مجردا، أما الاصطلاح الأدبي فهو ما سيأتي شرحه وتحديده من كتب النقد الأدبي.

ثانيا: التخييل اصطلاحا:

مال النقاد والبلاغيون القدماء في شرح كلمة التخييل إلى توسيع المعنى أكثر من الشرح المعجمي المحدود، وأول ما يمكن ملاحظته في تقريب معنى كلمة الخيال من المعنى الاصطلاحي الفني هو قول الجرجاني في تعريف الخيال: "الخيال: هو قوةٌ تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها الحس المشترك كل ما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك، ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ"[1]. فالإشارة إلى غيبوبة المادة أول مدخل لمناقضة الواقع والحقيقة، وترجيح الظن وانتفاء التأكيد، ولا يبعد مفهوم التخييل حديثا عن مفهومه عند القدماء وإن اتسع[2]، وهناك رأي آخر عند المحدثين يرى أن التخيل صورة من العقل، وإن كان القدماء قد جعلوه محكومًا بفن بلاغي واحد هو التشبيه، وقد ذكر جمع من الفلاسفة والبلاغيين إلى أن لفظ التخييل مرادف للمحاكاة في بعض السياقات؛ مما يؤدي إلى الاعتقاد بأنهما اسمان لمسمى واحد، وأنهما يدوران في فلك التشبيه[3]، وفي موضع آخر يفسر الجرجاني في كتاب (التعريفات) معنى التخييل، ويجعله مرادفًا لمصطلح بلاغي آخر هو الإيهام، فيقول: الإيهام: ويقال له: التخييل: هو أن يذكر لفظٌ له معنيان: معنى قريب، ومعنى غريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه المعنى القريب، ومراد المتكلم المعنى الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا النوع، ومنه قوله تعالى:{وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} (سورة الزمر67) [4].

وكلمة الإيهام التي أوردها الجرجاني هنا هي ما يقود إلى المعنى الاصطلاحي للتخييل، وهو المعنى الذي لم يضع له القدماء حدا يعرف به إلا من خلال التحليل البلاغي لبعض نصوص الكلام الفصيح، ليفسروا عمق تأثيرها في القارئ، ولو تأملنا هذا التعريف الذي وضعه الجرجاني للتخييل نجد أنه يتوافق تماما مع ما ذكره البلاغيون في تعريف التورية، يقول الصعيدي: "ومنه التورية، وتسمى الإيهام أيضا، وهو أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد به البعيد منهما"[5]، فالتخييل يرتبط بالقدرات النفسية الوهمية[6].

لكن إذا أردنا تعريفًا اصطلاحيًّا دقيقًا أو يقترب من الدقة كثيرًا فلننظر في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي الذي جاء فيه التخييل: هو مصدر من باب (التفعيل). ويطلق على تصوّر وقوع النسبة وعدم وقوعها من غير تجويز ولا تردّد، ويطلق على الإيهام، كما يطلق على قسم من الاستعارة. ويقول في (جامع الصنائع): التخييل أن يؤتى بلفظ مشترك بين عدّة معان بحيث يدلّ السياق على أحدها، وفيه مراعاة للنظير، وبسبب طوق النظير يسبق الوهم إلى المعنى الثاني غير التامّ، وهذه صنعة بديعية قريبة من الإيهام والخيال، إلّا أنّ هناك فرقا بينهما هو أن الخيال فيه مجاز مشتمل على لطيفة أو ضرب مثل، ويذهب فيه الظنّ إلى المعنى الحقيقي. وفي الإيهام كلا المعنيين كاملان، لكن أحدهما بعيد والثاني قريب. والبعيد علّته سياق العبارة وإلّا فهو المراد. وهنا نفس ذلك المعنى تامّ إلّا أنّه بسبب طوق النظير، فإنّ الظنّ يسبق إلى المعنى الثاني غير الثابت[7].

وقد يقترب المعنى الاصطلاحي كثيرا مما ذكره البلاغيون في تحليل النصوص التي يجدون فيها تخييلا مثل التشبيه "ومن الخيالية قولهم: «فلان أنشبت المنية فيه مخالبها» كان تخييلا للاستعارة، لأنه لمَّا شبه المنية بالسبع في عدوانها وتضريتها على الإنسان، جعل لها مخالب، ليزداد أمر التخييل ويكثر، ومن الاستعارة التخيلية،

(1) التعريفات للجرجاني، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، ص 102.
(2) ينظر: تخييل الحلم في السرود القصيرة: مقامات سردية لحسن النعمي أنموذجا، حصة بنت زيد بن سعد المفرح، مجلة العلوم العربية والإنسانية- جامعة القصيم،مج16،ع3، يناير:2023م، ص1158.
(3) ينظر: مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، يوسف الإدريسي، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، ط2، 1446ه، ص 14.
(4) ينظر: التعريفات للجرجاني، مرجع سابق، ص 41.
(5) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط17، 1426هـ، ج4، ص 595.
(6) ينظر: التخييل في النصين الديني والفلسفي: بين ابن سينا والفخر الرازي، محمد اعبيدة ، الملتقى الثاني للباحثين في مراكز دراسات الدكتوراه بالمغرب والعالم العربي : التخييل والمعرفة من التأويلية العامة إلى التأويليات الخاصة، جامعة عبدالمالك السعدي - كلية الآداب والعلوم الانسانية - مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، 2020م، ص212.
(7) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، ج1، ص 400.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

الآيات الدالة على التشبيه كقوله تعالى: بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ"[1]، كلمة الإيهام التي وردت في النصوص السابقة هي مناط التخييل، لأن الوهم نقيض الحقيقة، ثم فرع النقاد الإيهام في فروع البلاغة المختلفة، من استعارة ومجاز وما شابه ذلك، لأن هذه الفنون البلاغية كلها تنقل عقل المتلقي من الحقيقة إلى نقيضها لأجل تقوية تأثير الكلام.

التخييل في الاصطلاح البلاغي: جاء عند بعض البلاغيين تعريفًا مطولا لمصطلح التخييل، وهو تعريف يستصحب الجانب الحسي وجانب التخيل أحيانا، وقد اعتبر العلوي في (الطراز) هذا النوع في علم البديع من فنون البلاغة العظيمة، وذكر أنه كثير الورود في كلام الله عز وجل، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، لما فيه من الدقة والإيحاء، والإثارة والتشويق، وأنه أحق علوم البلاغة بالإتقان، وأولاها بالفحص والإمعان، ونقل عن الزمخشري قوله: لا نرى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع عونا على تعاطى المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام النبي ﷺ، ثم ذكر أن السر في حسن موقعه بلاغة: ما اختُص به من كونه موضوعا لتشبيه غير المحسوس بالمحسوس، كقول الله تعالى: (بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ) [المائدة: 64] وقول الله عز وجل: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنا)[2].

ومع ربط التخييل بالتشبيه والاستعارة، فإن هناك بلاغيين ربطوه بالتورية والمجاز، وكل ما من شأنه مناقضة الحقيقة ومن ذلك ما ذكره ابن الأثير: من أن المجاز أولى في الاستعمال من الحقيقة؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه؛ حيث إنه فرع عنها، وليس الأمر كذلك؛ لأنه قد ثبت أن فائدة الكلام هي إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بضرب من التخييل والتصوير حتى كأنه يراه معاينة. ألا ترى أن حقيقة قولنا: "زيد أسد" هي قولنا: "زيد شجاع"، لكن بين القولين فرق كبير في التخييل والتصوير، وإثبات المعنى في نفس السامع؛ لأن قولنا: "زيد شجاع" لا يتصور منه المتلقي إلا أنه رجل مقدام جريء، فإذا قلنا: "زيد أسد" تخيل صورة الأسد وهيئته، وبطشه وقوته، وهذا لا خلاف عليه. وأعجب ما في المجاز أنه ينقل المتلقي عن طبيعته في بعض الأحيان، حتى إنه ليحول البخيل سمحا، والجبان شجاعا[3].

وفي مصدر آخر يأتي بعض القدماء بمرادف للتخييل، حيث "يقال له التورية والتخييل، وهو أن يذكر المتكلم ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق فهمه إلى القريب، ومراد المتكلّم هو البعيد، وشاهده قول عمر بن أبى ربيعة:

أيها المنكح الثريّا سهيلا *** عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استقلّت *** وسهيل إذا استقلّ يماني

فذكر الثريا وسهيلا ليوهم السامع أنه يريد النجمين، ويقول: كيف يجتمعان والثريّا من منازل القمر الشاميّة، وسهيل من النجوم اليمانيّة؟ ومراده الثريّا التي كان يتغزّل بها لمّا زوّجت بسهيل؛ ومن ذلك قول المعرّى:

إذا صدق الجدّ افترى العمّ للفتى *** مكارم لا تخفى وإن كذب الخال

فإنّ وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومراده بالجدّ: الحظّ، وبالعمّ: الجماعة من الناس، وبالخال: المخيلة"[4].

وبالتأمل في معظم الأمثلة التي ذكرها البلاغيون للتخييل نجد أنها تركز على التخييل من خلال إيراد أمثلة للتشبيه والاستعارة والتورية فقط؛ ولعل ذلك لأن الخيال فيها واضح وظاهر، لكن الحقيقة أن التخييل يبرز في فنون بلاغية كثيرة غيرهما كالمشاكلة، وحسن التعليل، والتجريد، والتوجيه، وتجاهل العارف، وغيرها[5].

ويذكر النقاد أن نشأة الخيال قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بطيف المحبوبة؛ حيث إن مداومة الشاعر على التفكير في حبيبته، وتزايد شوقه لرؤيتها ولقائها ولد في نفسه حالة لاشعورية خاصة، وانشغالا متواصلا بها، فترسب ذلك

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلويّ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423ه، ج1، ص 121.
(2) ينظر: المرجع السابق، ج3، ص 3.
(3) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، مصر، القاهرة، ج1، ص 88.
(4) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1342ه، ج7، ص 131.
(5) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، الشحات أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، مصر، ط1، ص 127.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

في ذهنه، فصار يتمثلها ويستحضرها خيالا ويخاطبها ويتحدث عن أوصافها وما فعله به فراقها وكأنه يروي حقائق ثابتة[1].

لكن الطيف لا يكون حقيقة، فهو ضرب من الخيال الذي يوافق العمق الشعري، ولذلك فإن الأمر هنا بعيد من الواقع، مع أنه قريب من نفس الشاعر الذي يتخيل ولذلك قيل: إن "صورة التخييل والوهم ضرورة أنّ المدرك في جانب الوهم هو الوقوع واللا وقوع، إلّا أنّها ليست على وجه الإذعان والتسليم فظهر فساد ما توهّمه البعض من أنّ الشكّ والوهم من أنواع التصديق، ولا التفصيل المستفاد من ظاهر اللفظ لأنّه خلاف الوجدان، ولاستلزامه ترتّب تصديقات غير متناهية"[2].

وقد نظر الشعراء للخيال على أنه وسيلة من وسائل التأثير في النفس، وإثراء المعنى، وليس طريقا فقط لإشباع رغباتهم النفسية؛ ولذلك فقد تردد كثيرا في شعرهم التأكيد على أن للخيال سلطانا قويا على النفس، وأنه يسلب الإنسان إرادته، ويستولي على مشاعره؛ فيحولها من حالة إلى حالة مغايرة تماما، فالعلاقة بين التخييل والتأثير النفسي علاقة تلازمية[3]، ومن أشعارهم في ذلك قول زهير:

تُذَكِّرني الأحلام ليلى ومن تَطُفْ *** عليه خيالات الأحِبَّةِ يحلم[4]

وقول لبيد:

طافت أُسَيْماءُ بالرِّحال فقد *** هَيَّجَ مني خيالها طَرَبَا[5]

وقول البحتري:

يُهيِّجُ لي طيْفُ الخيالِ صَبَابَةً *** فَلِلَّهِ ما طَيْفُ الخيالِ المُهَيِّجِ![6]

وقول المرقش الأكبر:

سَرَى لَيْلاً خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمى فَأَرَّقَنِي وأَصْحَابي هُجُودُ[7]

كما أن هناك علاقة قوية بين التخييل والسحر الذي يقلب الحقائق فتبدو في هيئة غير هيئتها وصورة غير صورتها؛ مما يؤكد قوة الخيال، وشدة تأثيره في النفس[8].

وهناك ما يسمى بالأدب العجائبي الذي يقوم على الخيال الخلاق الذي يخترق حدود العقل والمنطق والواقع والتاريخ؛ مما يجعل رباطا وثيقا بين التعجيب والتخييل في التراث العربي[9].

وغير ذلك كثير؛ مما يدل على أهمية الخيال، وعمله في إنتاج الشعر، وهذا يتعلق بالمتكلم" المنتِج"، وهذه لا تقل أهمية عن تأثيره في المتلقي أيضا.

المبحث الأول
أصناف التخييل

التخييل واحد من المفاهيم الممتدة الجذور، المتشعبة الأركان بين البلاغيين والنقاد والفلاسفة[10]، وفي هذا الجزء من الدراسة أحاول كشف بعض أصناف التخييل، معتمدًا في تسميتها على أقوال البلاغيين القدماء، في شرحهم للألوان البلاغية في الشعر القديم، وسعيهم لبيان كيفية تأثيرها، وتوضيح ما تخيله الشاعر، وقد سمى البلاغيون الاستعارة والتشبيه تخييلا مثل قوله تعالى: (وجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لَا

(1) ينظر: مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، مرجع سابق، ص38.
(2) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مرجع سابق، ج1، ص695.
(3) ينظر: مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، ص40.
(4) شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ط3، ص 14.
(5) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425 هـ، ج1، ص 15.
(6) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط 2، د.ت، ج1، ص 415.
(7)المفضليات، المفضل الضبي، ت/ أحمد شاكر، وعبدالسلام هرون، دار المعارف، ط6، ص: 223.
(8) ينظر: مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، ص41.
(9) ينظر: عجائبية التخييل السردي: نص" الهجرة السرية إلى الأشياء" لسهام العبودي أنموذجا. هيلة العساف، ع54، مجلة مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية- جامعة الأزهر، ديسمبر 2017م، ص335.
(10) ينظر: مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، مرجع سابق، ص 7.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

يُبْصِرُون)[1]، وفيه كما ذكر العلوي: تنبيه على ما هم عليه من التمادي في الباطل، والإكباب على الجحود وكتمان ما جاءهم من الحقّ، وقطع الرجاء بخيرهم، وسد لطريقه؛ لأن من كان بين يديه سد، ومن خلفه سد وأغشي على بصره، فقد تعطّل، فكيف يكون له اهتداء إلى الخير، وسلوك طريقه، وهذا باب من فنون البلاغة يسمى التخييل[2].

وقد قسمت التخييل في هذه الدراسة قسمين:

الأول: تخييل الإيهام:

وهو التخييل الذي يقوم على خلق صورة غير معتادة في ذهن المتلقي، وقد جعل بعض البلاغيين مصطلح الإيهام مرادفا لمصطلح التخييل، ومفيدا للمعنى نفسه، وسموا الفنون التي تشتمل على التخييل: فنون التخييل والإيهام[3].

وهذا النوع هو أكثر الأصناف التي ركز عليها البلاغيون القدامى بطريقة تقليدية جعلوها قائمة على عمق التشبيه والاستعارة، وأضاف بعضهم فن التورية إلى هذا الصنف من التخييل، ولسنا بصدد تضعيف آرائهم أو تفنيدها بتعريف حديث للتخييل، بل لتحديد ما ذهبوا إليه من تحليل النصوص التي يجدون فيها تخييلًا، خاصة أننا وجدنا تعريفًا اصطلاحيا عند التهانوي، وهو من القدماء، وتخييل الإيهام أطال فيه الحديث الجرجاني في كتابه التعريفات، وهو الذي ربط بين التخييل والإيهام في تعريفه لكلمة التخييل كما سبق في النص الذي اقتبسناه، وفي كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ينظر في الشعر والنصوص الموهمة بصورة ينقلها الشاعر إلى القارئ، حيث يقول: "وقد يَقصِدُ الشاعر-على عادة التخييل- أنْ يُوهِم في الشيء هو قاصرٌ عن نظيره في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها، واستيجابِ أن يُجعَل أصلاً فيها، فيصحُّ على موجَب دعواه وسَرَفه أن يجعل الفرعَ أصلاً، وإن كُنّا إذا رجعنا إلى التحقيق، لم نجد الأمرَ يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه، ومثاله قول محمد بن وُهيب:

وبَدَا الصَّباحُ كأنّ غُرَّتَهُ *** وَجْهُ الخليفةِ حِين يُمتدَحُ

فهذا على أنه جعل وَجْه الخليفة كأنه أعرفُ وأشهرُ وأتمُّ وأكملُ في النور والضياء من الصَّباح، فاستقام له بحكم هذه النِّيَّة أن يجعل الصباحَ فرعاً، ووجهَ الخليفة أصلاً"[4].

ومن الإيهام تشبيه صورة معنوية بصورة حسية، فإن غياب الصورة المعنوية عن البصر، هو مناط الإيهام، وذلك بتصوير المخفي للقارئ كأنه يراه أمامه، مثل التحليل البلاغي التخييلي للأبيات[5]:

"وكأنَ النُّجُومَ بينَ دُجاها *** سُنن لاحَ بينهُنَّ ابتداعُ"

الْبَيْت لِلْقَاضِي التنوخي من أَبْيَات من الْخَفِيف أَولهَا:

"رُبّ ليلٍ قطعْتُهُ بِصدُودٍ *** أَو فراقٍ مَا كانَ فِيهِ وَدَاعُ"

"موحشٍ كالثقيلِ تقذَى بِهِ العَينُ *** وتَأبى حَدِيثه الأسماع"

وَبعده الْبَيْت :

"مُشْرِقاتٌ كأنهنّ حجاجٌ *** تقطعُ الخصمَ والظلامَ انقطاعُ"

"وكأنّ السَّمَاء خيمة وَشْي *** وكأنّ الجوزاء فِيهَا شراعُ"

والدُّجى: جمع دجية وَهِي الظلمَة وَالضَّمِير رَاجع إِلَى اللَّيَالِي أَو النُّجُوم، والابتداع: الْحَدَثُ فِي الدّين بعد الْكَمَال، أَو مَا استحدث بعد النَّبِي عليه الصلاة والسلام من الْأَهْوَاء والأعمال وَالشَّاهِد فِيهِ: التَّشْبِيه التخييلي، وهو تشبيه حالة النجوم ولمعانها وسط الظلام بحالة السنن وسط البدع، وَهُوَ لَا يُوجد فِي أحد الطَّرفَيْنِ أَو فِي كليهمَا إِلَّا على سَبِيل التخييل والتأويل، وَوَجهه فِي هَذَا الْبَيْت هُوَ الْهَيئَة الحاصلة من تخلل شيء لامع مضيء وسط سطح مظلم[6].

---

(1) سورة يس: آية 9.

(2) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مرجع سابق، ج2، ص 5.

(3) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، مرجع سابق، ص127.

(4) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 1412ه، ص 223.

(5) ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح العباسي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، ج2، ص 10. والمنهاج الواضح للبلاغة، حامد عونى، 31/5، المكتبة الأزهرية للتراث، ج5، ص 31.

(6) ينظر: البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل عبد الرازق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006 م، ج1، ص 299.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

الثاني: التخييل التناقضي:

وهو صنف يقوم على إيهام القارئ بصورة مع وجود مانع أو قرين تدل على أن الصورة غير حقيقية، واختلافه عن الأول أن هذا يترك للقارئ مجالا لينكر حقيقية الصورة، أما الأول فإنه يجعل الوهم هو المسيطر على القارئ حتى يظن الصورة المتوهمة حقيقة، وهذا الصنف الثاني هو ما سماه الجرجاني باسم التخييل بغير تعليل، لأن الأول عند الجرجاني يوقع في ذهن القارئ علة كون الصورة حقيقية، فلا يشك فيها وفي وجودها، لكن هذا الصنف الثاني يوقع في ذهن القارئ تناقض الصورة المنقولة مع الواقع، يمكن أن نجد هذا التحليل فيما ننقله عن الجرجاني حيث يجعله نوعا آخر من التخييل، يرجع إلي ما سبق من تناسي التَّشبيه وصرف النفس عن توهُّمه، إلا أنَّ ما مضى مُعلَّل، وهذا غير معلّل، بيان ذلك أنهم يستعيرون الصِّفة المحسوسة للصفة المعقولة، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها، وأدركوها بأعينهم على حقيقتها، وكأنّ حديث الاستعارة والقياس لم يجرِ منهم على بال ولم يرَوْه ولا طيفَ خَيال. ومثالُه استعارتُهم العلوَّ لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان، ثم وَضْعُهم الكلام وضعَ من يذكر علُواً من طريق المكان، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

ويَصْعَدُ حَتَّى يظُنَّ الجَهولُ *** بأنّ لَهُ حاجةً في السماءِ

فلولا قصده أن يُنْسِيَ الشبيه ويرفعَه بجهده، ويُصمِّم على إنكاره وجَحْده، فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية، لمَا كان لهذا الكلام وجهٌ. ومن أبلغ ما يكون في هذا المعنى قول ابن الرومي:

أعْلَمُ الناسِ بالنجومِ بَنُو نُو *** بَخْتَ عِلماً لم يَأْتهم بالحِسابِ
بَلْ بَأنْ شاهدُوا السَّماءَ سُمُوّاً *** بِتَرَقٍّ في المكرماتِ الصِّعابِ
مَبْلَغٌ لم يكُنْ ليبلُغَه الطا *** لِبُ إلاّ بتِلكُمُ الأسْبابِ

وأعاده في موضع آخر، فزاد الدعوى قُوَّةً، ومرّ فيها مرورَ من يقول صِدقاً ويذكر حقّاً:

يا آل نُوبَخْتَ لا عَدِمتُكُم *** ولا تَبدَّلْتُ بعدكم بَدَلاَ
إن صَحَّ علمُ النجوم كان لكم *** حقًّا إذا ما سواكُمُ انتحلاَ
كَمْ عالِمٍ فيكُم وَلَيْس بأنْ *** قاسَ ولكن بأن رَقِي فَعَلاَ
أعلاكُمُ في السماء مَجدُكمُ *** فلستمُ تَجْهلون مَا جُهِلاَ
شافَهْتُم البدرَ بالسُّؤال عن ال *** أَمْرِ إلى أن بلغْتُمُ زُحَلاَ[1]

ومما يقع في باب التخييل التناقضي القرائن المانعة للاستعارات والتشبيهات، ولعل أوضح ما يدل على ذلك التناقض في التخييل، ما قاله السكاكي في خلق التناقض بين الحقيقة والصورة المتلقاة كتصوير الرجل أسدًا والمنية سبعًا مفترسا: "أنا ندَّعي أن الشجاع مسمّى للفظ الأسد بتأويل، حتى يتهيأ التقصي عن التناقض في الجمع بين ادّعاء الأسدية وبين نصب القرينة المانعة من إرادة الهيكل المخصوص ندعي ههنا اسم المنية اسما للسبع مرادفا له على سبيل التأويل، وهو أن المنية تدخل في جنس السباع للمبالغة في التشبيه بالطريق المعروف، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف صح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة، وليسا مترادفين فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية"[2].

ومن الصور التي تبعث في ذهن المتلقي مناقضة الصورة المنقولة للحقيقة الاستعارة في قوله تعالى: "فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ"[النحل: 112]، والظاهر من هذه الاستعارة هو التخييل، لأن الله تعالى لما ابتلاهم لكفرهم باتصال هاتين البليتين، ولما استعار اللباس ههنا مبالغة في الاشتمال عليهم أخذ الوهم في تصوير ما للمستعار منه من التغطية والستر والاسترسال، رعاية لمزيد البيان في ذلك، وإن جعلته من باب التحقيق للاستعارة، فتقريره هو أن ما يرى على الإنسان عند شدة الخوف والجوع من الضعف والهزال، وانتقاع اللون، وعلو الصفرة، ورثاثة الهيئة، وركاكة الحال، وحصول القلق والفشل، يضاهي الملابس في اختلاف أحوالها وألوانها.[3]

إن التناقض عامة معدود من صنوف الفن الشعري، ومن مقدرة الشاعر على ابتداع المعاني، وحتى في غير التخييل فإن قدامة بن جعفر قد أشار إلى التناقض في إنتاج الشاعر عامة، وجعله مما يزين الشعر، فنراه يقول: "ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه

(1) ينظر: أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 302.
(2) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ١٤٠٧هـ، ص 379، بتصرف يسير.
(3) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مرجع سابق، 1/ 122.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير منكر عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي دليل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها"[1].

وما ذكره قدامة هنا يكاد يجمع عليه النقاد، فالشاعر المقدم عندهم هو القادر على تصريف المعاني والألفاظ في شتى الأغراض، وكأن المعاني والألفاظ لاقتداره عليها، وتمكنه منها أصبحت طوع إرادته، يستعملها في أي غرض أراد، وفي الشيء وضده في آن واحد، ويستجيدها منه المتلقي، ويعجب بها؛ مما يدل على سعة الخيال عنده.

المبحث الثاني

تأثير التخييل وموقف النقاد منه

يلعب الخيال دورا رائدا في الأعمال الأدبية، وبخاصة في مجال الشعر، حيث يتفنن الشعراء في تحسين خيالاتهم، والصعود إلى رحابة عالم الخيال وتهويماته؛ ليتأتى لهم تحسين ما أرادوا تحسينه، وتقبيح ما أرادوا تقبيحه، ولن يخدمهم في ذلك إلا الخيال، والخروج عن عالم الواقع المحدود؛ مما حدا بأحد النقاد القدماء، وهو حازم القرطاجني، أن يجعل الخيال قوام لغة الشعر، ومدار جودته.

إن التخييل يجعل اللغة الشعرية خلاقة، متحررة، تنزاح عن قوانين المنطق العقلي المحدود، لتتمسك بحبال الخيال اللامتناهية[2].

"ولم يكن مصطلح التّخييل ممّا درج عليه النقاد والبلاغيون العرب لا في فترات النشأة ولا في فترات التطور في القرن الرابع، ولم يصبح من بين المصطلحات الشائعة إلا في فترات متأخرة ابتداء من نهاية القرن الخامس للهجرة"[3]؛ ولذلك فقد أثار ميلاد هذا المفهوم- شأنه في ذلك شأن ميلاد أي مفهوم جديد- أسئلة كثيرة منذ ظهوره إلى الآن؛ لتثبيت أصوله، وشرعنة وجوده؛ حتى يستطيع فرض انتشاره، وتداوله بين القراء[4].

وقد تحدث النقاد القدماء عن التخييل في طيات حديثهم عن الألوان البلاغية التي اعتمدت عليه، فنجد الحموي عند حديثه عن التورية، يذكر أمثلة كثيرة لها وردت على ألسنة الشعراء والأدباء، ويستجيدها ويثني عليها ثناء بالغا، ويجعلها من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة؛ لاعتمادها على الخيال، بل إنه نعى على من يحط من قدرها، ووصفه بالضامر المهزول[5].

كما أثنى الإمام عبد القاهر الجرجاني على التخييل، ودوره في إثبات المعاني، وذلك عند حديثه عن حسن التعليل[6]، وما له من شأن عظيم في صنعة الشعر، وإخراجه من قيود البراهين العقلية إلى التحليق في سماء الخيال، حيث يجد عالما غير محدود ينمو فيه ويزدهر، والصنعة إنما يمتد باعها، وينشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها حيث تعتمد الاتساع والتخييل، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ... وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع ويزيد، ويبدئ في اختيار الصور ويعيد ... ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع، والمستخرج من معدن لا ينتهي[7].

كما تحدث الإمام عبد القاهر أيضا عن الإيهام وما فيه من خداع عند حديثه عن فائدة الجناس[8]، التي تتمثل عنده في حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، فهو فن خادع موهم، تشعر من خلاله أن المتكلم قد

---

(1) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ ص 4.

(2) ينظر: تجليات التخييل في الشعر العباسي: شعر المعري نموذجا، نجلاء الحداد، مجلة فكر، نشر مركز العبيكان للأبحاث والنشر، ع36، يناير 2023م، ص162.

(3)المحاكاة والتخييل: هجرة المصطلح وتطور المفهوم من البلاغة اليونانية إلى البلاغة العربية، الطاهر يحيى نشر: الجمعية التونسية للدراسات الأدبية والإنسانية، ع12،11، 2022م، ص235.

(4) ينظر: حدود التقاطع والتماس بين التخييل والواقع، عبد الخالق عمراوي، مجلة علامات، نشر: سعيد بنكراد، ع53، 2020م، ص71.

(5) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، شرح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2004م، ج2، ص 40.

(6) حسن التعليل: هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي. شروح التلخيص 4/ 373، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط1، 1323هـ.

(7) ينظر: أسرار البلاغة، ص 237.

(8) الجناس: هو التشابه في اللفظ مع الاختلاف في المعنى. ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، ص 197.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك شيئا وقد أحسن الزيادة ووفاها[1]، كما ذهب الجرجاني إلى أن الكلام التخييلي ليس مطلوبا فيه التزام الصدق، وحكاية الواقع وتصويره، وأنه صنعة متشعبة المسالك، تمتنع عن الاستقراء التام[2]، وكل هذا وغيره كثير في كتاباتهم يدل على أهمية التخييل في الكلام، ودوره في أداء المعاني على الوجه الأكمل الذي أراده المتكلم.

كما ألمح السجلماسي[3] إلى أهمية توفير التخييل في الشعر قبل أي شيء آخر، لكي تكتمل للشعر حيويته وتأثيره[4].

وقد ذكر بعض النقاد في العصر الحديث تفرد القرطاجني، وتفوقه على غيره من النقاد القدماء في تفسير معنى التخييل وعلاقته النفسية والعقلية بالشعر والنثر الأدبي، وصنوف الكلام الفصيح الذي يراد به عمق التأثير، حيث اعتبر القرطاجني التخييل جوهر التعبير الشعري، فلا يقوم إلا عليه، ولا يكون إلا به، كما ذكر أن التخييل نوع من النشاط التصويري، الذي يخاطب به الشاعر الجانب الوجداني، الانفعالي، لدى المتلقي، فهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمتلقي[5].

ولم يتناول القرطاجني التخييل بمعزل عن جودة الفن، بل جعل التخييل سبب جودة الكلام وعمق تأثيره في المتلقي، سواء كان الكلام شعرً أم نثرًا، وذلك قوله: "لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكانا يشتركان في مادة المعاني ويفترقان في صورتي التخييل والإقناع وكان لكلتيهما أن تخيل وأن تقنع في شيء من الموجودات التي يحيط بها علم الإنسان، وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عنهما، وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يخيل لها أو يوقع في غالب ظنها أنه خير أو شر بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنها خيرات أو شرور"[6].

ومما يميز فكرة القرطاجني عن التخييل أنه جعل تأثير قوة التخييل شاملة، تحكم الكلام كله، ولا فرق في ذلك بين الشعر والنثر، مع مراعاة الفروق بين النثر والشعر، والفروق بين أصناف النثر نفسه، "بيد أن الاختلاف بين الشعر والخطابة في الوسائل التعبيرية التي يوظفها كل واحد منهما لتحقيق غايته التأثيرية، لا يعني أن الإقناع والتخييل متعارضان وغير قابلين للتمازج، ببنية نصية واحدة"[7].

وبمطالعة تحليل القرطاجني للتخييل ونماذج الإضاءة والتنوير اللذين جعلهما حازم عناوين لتحليل نماذج من النصوص، يتضح لنا أنه "جعل التخييل قوام للشعر، والإقناع قوام الخطابة؛ لأنه أراد التفريق بين الخطابة والشعر، فالخطابة تغلب عليها العلمية والإقناع بالحجة الصادقة، فلا تحتمل التخييل الذي يحمل الكذب، أو يناقض الحقيقة، أما الشعر فهو يحتمل مناقضة الحقيقة، بل تفسده الحقيقة المجردة من غير تخييل، وعالج حازم على هذا الأساس كثيرا من القضايا التفصيلية الخاصة بالفن الشعري، ولكن أهم هذه القضايا وأعمها هي قضة الصدق والكذب التي أعطاها من اهتمامه القدر الكبير، فكثيرا ما ارتبط التخييل عند كثير من النقاد السابقين لحازم، في مواضع بالقياس الخادع الكاذب، تزوير المقال، إلا أنه عند القرطاجني لا يعني الكذب، ولا يقابل الصدق ذلك أن

(1) ينظر: أسرار البلاغة، 8/1.

(2) ينظر: مفهوم التخييل: من أرسطو إلى البيانيين العرب، ميمون مسعودي، الحسن الهلالي، مجلة أنساق لغوية وثقافية، جامعة ابن زهر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مختبر الأنساق اللغوية والثقافية، ع4، أكتوبر 2022م، ص178.

(3) هو أبو محمد السجلماسي، من أعظم رواد المدرسة البلاغية المغربية، عاش في المغرب أواخر القرن السابع الهجري، وله وله كتاب (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع).

(4) ينظر: موقع التخييل عند السجلماسي، إيناس محمود أبو سالم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مج28، ع15، ص109. ص109.

(5) ينظر: مفهوم التخييل عند حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، سحنون فتيحة، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر 2015م، ص 28.

(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص34، بتصرف يسير.

(7) مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين، ص 318.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

المقصود من الشعر نفسه إثارة انفعال المتلقي وتحريك نفسه لتوجيه سلوكه وجهة معينة نحو فعل شيء أو تركه"[1].

ويمكن النظر في بعض آراء القرطاجني التي تدل على اتخاذه منهجًا متفردا في نظرته للتخييل، وذلك في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء:

"فبالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصة دون العامة وبين ما شاركوهم فيه، ولا ميزة بين ما اشتد تعلقه بالأغراض المألوفة، وبين ما ليس له تعلق كبير، إذا كان التخييل في جميع ذلك على حد واحد، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك.

- إضاءة: ولبيان الطرق التي بها يكون تعلق المعاني بالأغراض المألوفة عند الجمهور أكيدة، وكيف لا تكون علقتها بذلك متأكدة: فأقول: إن الأقاويل المخيلة لا تخلو من أن تكون المعاني المخيلة فيها مما يعرفه جمهور من يفهم لغتها ويتأثر به، أو مما يعرفه ولا يتأثر به، أو مما يتأثر له إذا عرفه، أو مما لا يعرفه ولا يتأثر له لو عرفه. وأحق هذه الأشياء بأن يستعمل في الأغراض المعروفة من طرق الشعر ما عرف وتؤثر له، أو كان مستعدا لأن يتأثر له إذا عرف وكان في قوة كل واحد من جمهور من جبلته في الفهم صالحة أن يتصور ذلك إذا عرف به وذلك كالأخبار التي يحيل عليها الشعراء."[2]

وقد فرق القرطاجني بين الشعر والخطابة، فذكر حاجة الشعر إلى التخييل، وحاجة الخطابة إلى الإقناع: بأن كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يأتي على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يأتي على جهة الاحتجاج والاستدلال, وأن اعتماد صناعة الخطاب تكون على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين -اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق, فإن للخطيب أن يلم بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه- واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل، وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة، والتخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن, لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه، وقد يخيل على غير ما هو عليه, فقد وجب أن تكون الأقوال الخطبية غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق, لأن ما يتقوم به وهو الظن مناف لليقين, وأن تكون الأقوال الشعرية غير واقعة أبدا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب, ولكن تارة تكون صادقة وتارة تكون كاذبة, إذ ما تقوم عليه الصناعة الشعرية وهو التخييل غير مناقض لواحد من الطرفين. ولذلك اعتبر الرأي الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة وتكون كاذبة، وليس يعد شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيل[3].

وقد ذكر حازم القرطاجني في تعريفه للشعر بأنه: "كلام مخيل موزون، وأنه مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك. والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها -بما هي شعر- غير التخييل"[4].

ويتضح من هذا التعريف الذي ذكره أن قوام الشعر هو التخييل، وأنه ركن أصيل لا يمكن أن يتخلى عنه الشاعر لكي يوصف كلامه بأنه شعر.

كما ذكر أيضا أن التخييل يقع في الشعر من أربعة أنحاء: من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة الوزن.

وقسم التخييل في الشعر قسمين: تخييل ضروري، وتخييل غير ضروري، ومع أن النوع الثاني غير ضروري إلا أنه مهم؛ لكونه تكميلا للضروري، وعونا له على ما يراد من إنهاض النفس على طلب الشيء أو الهرب منه.

وذكر: أن التخييل أن يقيم الشاعر في خيال المتلقي صورة أو صور ينفعل عند تخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض.

كما تحدث عن طرق وقوع التخييل في النفس وذكر بأنها: إما أن تكون بأن تشاهد شيئا فتذكر به شيئا، أو بأن يتصور في الذهن شيء من طريق الفكر وخطرات البال، أو بأن يحاكى لها الشيء بتصوير نحتي أو خطي أو ما يجرى مجرى ذلك، أو يحاكى لها صوته أو فعله أو هيأته بما يشبه ذلك من صوت أو فعل أو هيأة، أو بأن يحاكى

(1) مفهوم التخييل عند حازم القرطاجني، ص 34.
(2) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 27
(3) - ينظر: المرجع السابق ص 38
(4) المرجع السابق ص 47

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

لها معنى بقول يخيله لها -وهذا هو الذي نتكلم فيه نحن في هذا المنهج- أو بأن يوضع لها علامة من الخط تدل على القول المخيل, أو بأن تفهم ذلك بالإشارة.[1]

واستطرد القرطاجني فذكر أحسن مواقع التخييل "حين يكون في الأمور السارة كالتهاني، أو عكسها وهي الأمور المفجعة كالمراثي؛ فإن هذه المناسبات هي التي تتأثر بها النفس وأنها أظهر ما يؤثر فيها التخييل"[2].

ويزداد التخييل بهاء ورونقاً عندما يأتي الكلام على نحو من التعجب، فيشتد تأثيره في النفس.

واستخدم حازم القرطاجني في كتابه مصطلحين ميز بهما آراءه النقدية وهما: "إضاءة، تنوير"، وتفرد باستخدام هذين المصطلحين في شرح المسائل الأدبية والبلاغية، ويعني بهما الكشف عن حقائق الأدب ومواطن جودة الشعر، فالإضاءة تعريف بسيط بالمسألة الأدبية، والتنوير شرح وافٍ لرأيه النقدي في المسألة الأدبية والبلاغية.

وبهذا كان القرطاجني من أكثر النقاد اهتماما بالتخييل، شرحا واستشهادا وبيانا لمواطن الحسن فيه.

كذلك ذكر" محمد العمري": أن البلاغة تتراوح بين قطبين: قطب تخييلي يمثل جانب الشعر، وقطب تداولي يرجع إلى الجانب الخطابي[3]، كما أن العناصر المتخيلة في الكلام تسهم في بناء الخطاب الحجاجي بشكل كبير[4]؛ مما يجلي أهمية التخييل، ويبين دوره الرائد في الكلام.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة يتضح لنا أن مفهوم التخييل في النقد العربي القديم كان متشابهاً عند النقاد، وقد أثنوا عليه ثناء بالغاً، ونوهوا بفضله وشأنه في الكلام، وهو محكوم عندهم بالألوان البلاغية التي يفهم منها مناقضة الحقيقة، وبث الوهم في ذهن المتلقي، وذلك ببث صور غير حقيقية مثل الاستعارة والتشبيه، ثم وجدنا فرقاً كبيراً بين مفهوم التخييل بين النقاد القدماء، وبين حازم القرطاجني الذي يعد أحد هؤلاء القدماء، فقد جعل حازماً التخييل فناً يحكم الكلام كله، ويقوم على التأثير في عقل ونفس المتلقي، فيكون بذلك قد أضاف الجانب العقلي والنفسي في تحليل مفهوم التخييل، وربط التأثير البلاغي في القارئ قائماً على معرفة الشاعر أو الخطيب بحالته، أي جعل التخييل مشتركا بين المتكلم والمستقبِل، وليس خاصا بالمتكلم فقط، كما جعل التخييل قوام الشعر، فلا يقوم إلا عليه خلافا للخطابة.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 62

(2) المرجع السابق، ص 92، وينظر أيضا: من سلطة الإيقاع إلى رحاب التخييل: إسهامات القرطاجني في تحولات الشعرية العربية القديمة، محمد زيوش، مجلة اتحاد الكتاب العرب، مج52، ع625، ص158.

(3) ينظر: التخييل والتداول عند محمد العمري، عبد الباسط ضيف، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، مج12، ع3،2، 2020م، ص203.

(4) ينظر: الزمن في الرواية الحديثة بين التخييل والحجاج: رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي أنموذجا، آمال الطاهر، مجلة العلوم وآفاق المعارف، جامعة عمار ثليجي بالأغواط - كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة - قسم العلوم الإسلامية، مج3، ع3، ديسمبر، 2023م، ص94.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

المصادر والمراجع

1- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 1412هـ 1991م.
2- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ-2005م.
3- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المؤلف: حسن بن إسماعيل عبد الرازق، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2006م.
4- تجليات التخييل في الشعر العباسي: شعر المعري نموذجا، نجلاء الحداد، مجلة فكر، نشر مركز العبيكان للأبحاث والنشر، ع36، يناير 2023م.
5- تخييل الحلم في السرود القصيرة: مقامات سردية لحسن النعمي أنموذجا، حصة بنت زيد بن سعد المفرح، مجلة العلوم العربية والإنسانية- جامعة القصيم، يناير:2023م.
6- التخييل في النصين الديني والفلسفي: بين ابن سينا والفخر الرازي، محمد اعبيدة، الملتقى الثاني للباحثين في مراكز دراسات الدكتوراه بالمغرب والعالم العربي: التخييل والمعرفة من التأويلية العامة إلى التأويليات الخاصة، جامعة عبد المالك السعدي - كلية الآداب والعلوم الانسانية - مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، 2020م.
7- التخييل والتداول عند محمد العمري، عبد الباسط ضيف، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، مج12، ع2، 2020م.
8- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1403هـ -1983م.
9- حدود التقاطع والتماس بين التخييل والواقع، عبد الخالق عمراوي، مجلة علامات، نشر: سعيد بنكراد، ع53، 2020م.
10- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ت: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م.
11- دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، قليوبية، مصر، (د.ت).
12- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط 2، (د.ت).
13- ديوان زهير بن أبي سلمى، الديوان صنعة: الأعلام الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1980م.
14- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
15- الزمن في الرواية الحديثة بين التخييل والحجاج: رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي أنموذجا، آمال الطاهر، مجلة العلوم وآفاق المعارف، جامعة عمار ثليجي بالأغواط - كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة - قسم العلوم الإسلامية، مج3، ع3، ديسمبر، 2023م.
16- شروح التلخيص، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط1، 1323هـ.
17- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة العلوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423ه.
18- عجائبية التخييل السردي: نص" الهجرة السرية إلى الأشياء" لسهام العبودي أنموذجا. هيلة عبد الله العساف، ع54، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية- جامعة الأزهر، ديسمبر 2017م.
19- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.
20- لسان العرب، ابن منظور، المؤلف: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414ه، 1984م.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.120.2025.1421
ISSN Online: 2414-3383
ISSN Print: 2616-3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
editor@jalhss.com
Volume (120) May 2025
العدد (120) مايو 2025

21- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، (د. ت).
22- المحاكاة والتخييل: هجرة المصطلح وتطور المفهوم من البلاغة اليونانية إلى البلاغة العربية، الطاهر يحيى، نشر: الجمعية التونسية للدراسات الأدبية والإنسانية، ع12،11، 2022م.
23- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المؤلف: أبو الفتح العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب – بيروت.
24- مفتاح العلوم، المؤلف: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
25- المفضليات، المفضل الضبي، ت/ أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هرون، دار المعارف، ط6.
26- مفهوم التخييل عند حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، الباحث: سحنون فتيحة، وعيل مريم، جامعة: أكلى محند أولحاج، الجزائر 2015م
27- مفهوم التخييل في البلاغة والنقد العربيين، الأصول والامتدادات، المؤلف: يوسف الإدريسي، منشورات مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، 2024م.
28- من سلطة الإيقاع إلى رحاب التخييل: إسهامات القرطاجني في تحولات الشعرية العربية القديمة، محمد زيوش، مجلة اتحاد الكتاب العرب، مج52، ع625.
29- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المؤلف: أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
30- موقع التخييل عند السجلماسي، إيناس محمود أبو سالم، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مج28، ع15 .
31- نقد الشعر، المؤلف: قدامة بن جعفر، طبعة: القسطنطينية، 1302هـ.
32- المنهاج الواضح للبلاغة، المؤلف: حامد عونى، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، (د. ت).
33- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الناشر: دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة 1342هـ 1923م.